وسائل النهوض بالقرية المصرية

للمهندس الزراعى أحمد نصر الخولى ■

مقدمة

العمل

بميـــدان الإصلاح الإجتماعى بصفة عامة ، والإصلاح الريفى بصفة خاصة ليس من الأمور الهينة ، فهو يقوم أساساً على دراسة البيئة التى سيتناولها الإصلاح من جميع النواحى الطبيعية والحيوية بمعنى أنه يلزم معرفة مكونات البيئة وظروفها المحلية إلى جوار فهم الفلسفة العميقة لمعنى المجتمع المحلى ثم حاجته إلى برامج مبنية على أساس حاجة البيئة الفعلية ثم أن البرامج إذا ما أعدت يجب أن تسلم لأيد أمينة حيث قد يساء تنفيذها إذا ما وضعت فى أيد لا علم لها بماهيتها ، كما ينبغى مراقبة تنفيذ البرامج تنفيذاً صحيحاً وفق الخطة الموضوعة حتى تؤدى الغرض المنشود . ولما كان هدف الخدمة الإجتماعية السليمة هو الوصول بالأهالى إلى المرحلة التى يستطيعون فيها خدمة أنفسهم بأنفسهم ، لذا ينبغى أن يمر الإصلاح بمراحل كثيرة حتى نصل بالأهالى إلى هذه الدرجة من النضج الإجتماعى التى تتم فيها مشروعات الإصلاح على أساس من التفاعل بين الأهالى والمصلح الإجتماعى، وليست على أنها مجرد إجراءات من جانب المؤسسة القائمة بالإصلاح . وخلال هذه المراحل لا بد من استعمال أنجح الوسائل للتوجيه والإرشاد حتى يقتنع الأهالى بجدوى الإصلاح وبالتالى يمكن خلق طبقة من القادة المحليين .

ولما كان أهل الريف بحكم ظروفهم المحلية محرومين من وسائل النهوض بالنواحى الإقتصادية والإجتماعية إلى جوار العقائد والتقاليد القديمة التى تسيطر على أذهانهم وتعوق سبيل التقدم لانتشار الأمية بينهم ، لذا فإنه من أصعب الأمور إرشادهم لتقبل الجديد من المعلومات والطرق والوسائل العلمية الحديثة فى الزراعة وغيرها لخلق وعى إجتماعى بينهم حتى يتمكنوا من خدمة مجتمعهم بأنفسهم وتحسين إنتاجهم ورفع مستواهم .

■ المهندس الزراعى أحمد نصر الخولى : أخصائى تجارب إصلاح القرية بشبرا قبالة والعجايزة وأم خنان منوفية .

وسيتعرض هذا البحث إلى دراسة الوسائل المختلفة لإرشاد القرويين لكى يمكن الحصول على أكبر كمية من الفائدة من المشروعات التى تقام من أجلهم ، إذ كثيراً ما نلاحظ قيام بعض المشروعات وسرعة فشلها لأنها لا تتخذ الطريق السليم ، الأمر الذى يجعلها غريبة على الأذهان وبالتالى بعيدة عن تحقيق الفائدة المرجوة منها .

ويجدر بنا قبل الدخول فى موضوع البحث أن نتعرض ببساطة إلى بعض الموضوعات التى تمس عملية النهوض بالمجتمع المحلى فى القرية المصرية .

بعض الموضوعات المتعلقة بعملية النهوض بالمجتمع المحلى

أولا : تعريف المجتمع المحلى

هو مجموعة من الأفراد يتميزون بطابع ثقافى مشترك يعيشون على بقعة جغرافية محددة، وتربطهم مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة، ولهم مجموعة من العادات والتقاليد والروابط والقيم الإجتماعية التى تخلق فيهم شعوراً بالإنتماء إلى ذلك المجتمع ، وهم يعتمدون إلى حد كبير على مواردهم الخاصة ونظمهم المحلية .

فلأهل الريف ألوان مخصوصة من السلوك وقيم معينة فى المأكل والمشرب والملبس والعادات والتقاليد التى تتميز عن المدينة ، ولهم نظريتهم الخاصة إلى كل فرد من الأفراد الذين يعيشون معهم ، ذلك لأن القرية محدودة المساحة فكل فرد فيها يكاد يكون معروفاً للآخرين .

ولهذا ترى القرية فى أغلب الأحايين كرجل واحد ما لم يكن هناك ما يعكر صفوها كخلاف على عمودية أو نزاع على قطعة أرض أو تحرش بسبب الجمعية التعاونية ... الخ . والمشاركة الوجدانية أمر واضح فى القرية ، وللقيم الإجتماعية الأفراد والعائلات وزن كبير . وليس من السهل أن يمنحك الريفيون ثقتهم، خصوصاً وإن كنت غريباً عن القرية أو بالذات موظفاً من قبل الحكومة ، فلقد كان عالقاً بأذهانهم إلى وقت قريب أن الموظف هو ممثل السلطة فكان الشك دينهم من جهته .

وقد تختلف التقاليد من قرية إلى قرية وقد نلاحظ هذا فى قريتين متجاورتين

الأمر الذى يهمنا فى دراسة الوسائل التى تستعمل فى كل بيئة على حدة للنهوض بها وفق ظروفها الخاصة .

ثانياً : التخلف الاجتماعى بالقرية

(ا) معنى التخلف الإجتماعى :

لما كانت الغالبية العظمى من أهل الريف يعيشون على الزراعة ولما كان من المعروف أن حركة الإنتاج فى الزراعة بطيئة ، هذا إلى جوار ضيق الرقعة الزراعية فى الإقليم المصرى بالنسبة لعدد السكان إذ يبلغ تركيز السكان ٣,٦ فرد على الفدان ، كما يبلغ متوسط دخل الفرد فى العام ٣٧ جنيه . وإذا قسمنا هذا الدخل بالنسبة لما اتفق عليه العرف الدولى من أن البلاد تعتبر متخلفة اجتماعياً إذ قل متوسط دخل الفرد السنوى عن ٥٠٠ دولار أمريكى لعلمنا مدى ما تتطلبه حركة الإصلاح الاجتماعى من مجهودات .

(ب) أسباب التخلف الإجتماعى :

١ — انخفاض نسبة الإنتاج الفردى نتيجة لنقص رأس المال الفردى المستعمل فى الإنتاج .

٢ — الفقر الذى يؤدى إلى الجهل والمرض .

٣ — إرتفاع نسبة الوفيات فى الأطفال والاحداث قبل الوصول إلى سن الإنتاج مما يسبب نقصاً كبيراً فى القوى الإنتاجية .

٤ — البطالة الموسمية فى الإنتاج الزراعى مما يسبب فقداً كبيراً للطاقة الإنسانية ، كما يتسبب عنها وجود مشاكل إجتماعية نتيجة الفراغ كشرب المخدرات وتدبير المكايد .

ثالثاً : برامج الإصلاح الإجتماعى وأسس عملية النهوض بالمجتمع المحلى

(ا) برامج الإصلاح الإجتماعى :

هناك برامج عدة لرفع مستوى المجتمع فى القرية ويطلق على هذه البرامج عدة تسميات ولكنها جميعها تؤدى إلى معنى واحد هو رعاية الريف رعايه كاملة . ولكى

تكون هذه الرعاية كاملة وشافية يجب أن تتعرض للمشاكل التى كانت سبباً فى وجود التخلف الإجتماعى فى القرية . وتشمل هذه الرعاية ما يأتى :

١ — التنمية الاقتصادية : الهدف منها زيادة دخل الفلاح بكافة الوسائل للتخلص من الفقر ومظاهره .

٢ — التنمية الاجتماعية : وتشمل الخدمات الصحية (وقائية وعلاجية) والتثقيف الإجتماعى والتربية وشغل أوقات الفراغ وتحسين الظروف المحلية والبر بالفقراء مع الاستعانة بإمكانيات الهيئات والمصالح الأخرى .

(ب) أسس عملية النهوض بالمجتمع المحلى :

إن النهوض ببرامج الإصلاح سالفة الذكر ينبغى أن يسير وفقاً للأسس الآتى بيانها والتى ثبت جدواها للكاتب أثناء عمله إخصائياً بتجارب إصلاح القرية بالجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية :

١ — إن برامج الإصلاح الاجتماعى فى الريف لا تبلغ مداها إلا إذا تعاون المصلحون والاهالى وآمن الجميع بفوائد الإصلاح .

٢ — الإصلاح يجب أن يكون ثمرة للإرشاد الاختيارى والتعاون الصادق بعيداً عن الإلزام والقوانين .

٣ — يجب أن يكون هدف الإصلاح علاج المشاكل الثلاثة (الفقر ، والجهل، والمرض) فى وقت واحد إذ لاجدوى من علاج مشكلة بمفردها فتطغى عليها المشاكل الاخرى .

٤ — يجب توجيه أهل الريف إلى الشعور بما هم فى حاجة إليه من الخدمات وتعويدهم على خدمة أنفسهم بأنفسهم .

٥ — يجب أن يتعود الاهالى المساهمة فى الإصلاح مادياً وأدبياً حتى يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم .

٦ — يجب أن يبدأ الإصلاح من صميم حاجة الأهالى وأن يسير كيفما يلائم البيئة دون إسراف .

رابعاً : الدعاية والإرشاد

يتبين مما سبق مدى أهمية الدعاية والإرشاد فى إصلاح القرية ، وفيمايلى تعريفها وبيان العلاقه بينها وبين ثقافة البيئة ووسائلها والغاية منها .

(ا) التعريف :

الدعاية : وسيلة شعبية تستعمل مع عامة الناس وتستهدف لفت أنظار الجماهير بصورة مباشرة .

الإرشاد : وسيلة تعتمد على الإقناع والمنطق وتتطلب وقتاً وجهداً طويلين إذ غايتها النفاذ إلى إدراك كل فرد وتوجيهه نحو العمل الصالح .

ولكلتا الوسيلتين أثرها الفعال فى تعريف الاشياء الجديدة إلى الجماهير، بيد أنها أصبحت ضرورة قصوى لكل عمل يراد له النجاح .

(ب) العلاقة بين وسائل الدعاية وثقافة البيئة :

هناك وسائل عديدة للدعاية والإرشاد منها الوسائل البصرية كالسينما، والوسائل السمعية كالإذاعة ، والوسائل التى تعتمد على القراءة والكتابة . ولما كانت هذه الوسائل تختلف فى درجة تأثيرها حسب ثقافة الاهالى ، لذا ينبغى إختيار الوسيلة التى تتفق مع استعداد الاهالى لفهمها .

(ح) وسائل الدعاية :

المستوصف (نصائح يوجهها الطبيب والحكيمة) ، السينما والمسرح الشعبى ، الحفلات ، النادى الريفى ، المدرسة (والمركز الإجتماعى يعتبر أهم هذه الوسائل) .

(ء) غاية الدعاية :

تعريف الناس على العمل الاجتماعى وتوسيع مداركهم ، وهى تمهيد لعملية الإرشاد .

خامساً : عناصر النهوض بالمجتمع المحلى

١ — وجود المؤسسة الإجتماعية التى ستباشر عملية النهوض بالقرية مثل المركز الإجتماعى .

٢ — وجود القائد أو الإخصائى ومساعدوه من الأهالى .

٣ — الوسائل الناجعة التى تستعمل فى إقناع أهل القرية للاشتراك فى عملية النهوض بالمجتمع المحلى .

وسائل النهوض بالمجتمع المحلى

مما تقدم يتبين مدى أهمية كل من القائد أو الإخصائى الإجتماعى ، والوسائل التى يتبعها للدعاية والإرشاد فى إصلاح القرية . وستهدف هذه الدراسة التمهيدية إلى بيان ما وجده كاتب هذه السطور فيما يختص بهذا الشأن من صميم حياته العملية بالمركز الإجتماعى بالدوير — أسيوط، وتجارب إصلاح القرية بشبرا قباله والعجايزة وأم خنان — منوفية ، وفيما يلى بيان هذه الوسائل :

أولا - الوسائل الروحية :

الرائد أو الإخصائى الإجتماعى عنصر هام من عناصر عملية النهوض بالمجتمع المحلى وعليه ينبغى أن يتصف بصفات خاصة ويتبع سلوكاً معيناً يتناسب مع عادات وتقاليد المجتمع الذى يتعامل معه . كما يجب أن يكون واسع المعرفة له مهارات خاصة وذو بصيرة فى معرفة الأمور . فلكل مجتمع قيمه البارزة وتنظيمه الداخلى فى الزعامة وتسلسل النفوذ والعادات والتقاليد . وأن عدم فهم الإخصائى لهذه المعانى من شأنه أن يؤثر فى سرعة سير البرامج . وفيما يلى أهم الصفات وأنواع السلوك التى لمس الكاتب فى حياته العملية وجوب توافرها فى الرائد واتباعه لها .

(١) الصفات التى يجب أن يتصف بها الرائد أو الإخصائى الإجتماعى :

١ — الإيمان بالرسالة : إن إيمان الإخصائى بأهمية العمل الذى يقوم به هو أهم دعامات النجاح. فالإصلاح مبنى على التضحية، والتضحية لا تقوم إلا على الإيمان الذى يعتبر أقوى سلاح لإقناع الآخرين .

٢ — أن يكون مشبعاً بروح التضحية : بمعنى أن يكون على استعداد للتضحية بالوقت والجهد والمال ، فالإصلاح لا يقوم إلا على دعامة إنسانية لا تسمو إليها مسئوليات الوظيفة .

٣ — الصبر وتحمل المتاعب : العمل فى ميدان الإصلاح الإجتماعى من أشق الأعمال وخصوصاً فى الريف فهو يقوم على الإقناع والإقتناع ، كما يتطلب وقتاً طويلا لظهور نتائجه ، فينبغى ألا يتسرب اليأس مطلقاً إلى نفسية الإخصائى .

٤ — الاستقامة واحترام التقاليد : ينبغى على الإخصائى أن يتصف بالحياء وأن تكون كل تصرفاته متسمة بالأدب وعلو الأخلاق وعليه أن يحترم بادىء ذى بدء تقاليد المجتمع الذى يعيش فيه حتى ولو كانت هذه التقاليد فى حاجة إلى التعديل . فإذا وجد فى قرية تحتجب فيها المرأة فيجب أن يأخذ بهذا التقليد بقدر الإمكان بالنسبة لزوجته وأخواته اللاتى يقمن معه ، مع تحاشى الإختلاط الجنسى حتى لا يصبح مثاراً للنقد بالقرية وفى حالة وجود زميلات له بالعمل ينبغى أن تكون تصرفاته بالنسبة إليهن متزنة بحيث لا يتطرق إليها الشك .

٥ — الجرأة فى التنفيذ ومواجهة الحقائق : ليس أضر بالعمل فى ميدان الإصلاح الإجتماعى من روح الجبن والتردد فمن الواجب أن يتسم الإخصائى بروح الشجاعة ولا يخشى فى الحق لومة لائم . كما ينبغى عليه سرعة البت فى الأمور حتى لا يفقد ثقة الأهالى .

٦ — الأمانة على الأعراض وعدم الفتنة : ينبغى على المصلح أن يحافظ على أسرار الناس والعائلات ولا ينقل كلمة من شأنها أن تثير فتنة بين العائلات .

٧ — روح الحياد : يجب على الإخصائى مراعاة الحياد فى تقديم الخدمات فالكل أمامه سواسية لا محاباة لقريب أو صديق ، وإلا أساء لنفسه وللعمل الذى يقوم به وفقد ثقة الأهالى فلا يستجيبون لدعوته مما يعرضه لعوامل النزاع النفسى فتتهدم شخصيته .

(ب) السلوك اللازم اتباعه من جانب الرائد أو الإخصائى الإجتماعى :

نبين فيما يلى بعض أنواع السلوك التى لوحظ بالخبرة العلمية والعملية أن لها أثراً روحياً ونفسانياً كبيراً فى كسب ثقة الأهالى وتكوين العلاقات الشخصية معهم لتسهيل ونجاح عملية النهوض .

١ — المحافظة على لباس الرأس : لوحظ أن سير الإنسان فى قرى الصعيد

برأس عارية لها أثر سيء فى نفوس الأهالى . لذا ينبغى أن يحافظ الإخصائى على مثل هذه التقاليد المحلية .

٣ — تحية الطريق : كما لوحظ فى بعض المجتمعات المحلية أثر تحية (السلام عليكم) للصغير والكبير وأنت سائر فى الطريق . . فهى تطبعك بصفة التواضع الذى يحبب الأهالى فى شخصك .

٣ — تحية المكتب : تبعث الطمأنينة فى نفس العميل فمعناها (استرح وقل ماعندك) ، أما إذ قابلته بوجه عبوس وعلى عجل فإنه لن يدلى إليك بسر من أسراره ولن يطمئن إليك .

٤ — زيارة المندرة (المضيفة) : يغلب فى الريف وجود مندرة لكل عائلة يجتمع فيها أفرادها فى المناسبات ، وإن زيارة الإخصائى لهذه المنادر من أهم الوسائل لتكوين علاقات مع الأهالى كما يوفر الجهود الكبيرة التى يتطلبها الاتصال بكل فرد على حدة لمعرفة رأيه أو مطالبته بالمساهمة فى مشروع معين كما أنه فى مثل هذه الزيارات يستطيع الإخصائى بث روح الحماس الجمعى لفكرة معينة .

٥ — مشاركة الأهالى أفراحهم وأحزانهم : من أقوى الوسائل فى توطيد العلاقات بالأهالى .

٦ — الصلاة بالمسجد : للدين تأثير كبير على الفلاحين ، والمحافظة على الصلاة من أهم دواعى الثقة بالإخصائى وأن صلاة الجمعة بالذات فى المسجد فرصة سانحة للتحدث إلى الفلاحين فى أى موضوع خصوصاً إذا استطاع الإخصائى أن يربط بين الدين والموضوع الذى يتحدث فيه .

٧ — بطاقات المعايدة : من أهم الوسائل فى تكوين العلاقات بالعائلات إرسال بطاقة معايده لزعيم كل أسرة بالتمنيات لأفراد العائلة فى الأعياد والمناسبات.

٨ — حفظ الأسماء : حفظك لإسم الشخص الذى تتعرف عليه يستحوذ على قلبه ، فإذا قابلته مرة أخرى وناديته باسمه أحس بأهميته لديك وبذلك يستجيب لدعوتك فى أى وقت .

٩ — إتاحة الفرصة للالتقاء بالأهالى : من أنجح الوسائل أن تخلق الفرص للأهالى لكى يلتقوا بك فى جلسات لا تحمل الطابع الرسمى ، فهى تزيد من ارتباطهم

بك كما تتيسح التعرف على آرائهم فى مشروعات المؤسسة .

١٠ — مراعاة الدقة فى تكوين اللجان: لما كان مجلس الإدارة واللجان الداخلية بالمركز الإجتماعى كالصحة والثقافة والإقتصاد والإحسان والمصالحات هى الدعامات التى يقوم عليها تنفيذ المشروعات ، لذا كان اختيار الأشخاص الصالحين والمؤتلفين من أهل القرية لهذه اللجان أمر هام . وينبغى أن تكون الشخصيات المتآلفة فى لجنة واحدة ، كما يراعى فيها الخبرات التى تناسب كل لجنة والتمثيل العائلى لضم جهود الجميع . كما يوضع فى الاعتبار رغبة العضو نفسه فى اللجنة التى سيشترك فيها وبذلك تكون اللجان قوة فعالة فى خدمة البيئة .

١١ — خلق روح الولاء للمركز الاجتماعى : أن ربط أسماء المهتمين ببرامج النهوض باسم المركز الاجتماعى أمر يدفعهم دائماً للدفاع عن مصالحه . فإذا حرص الاخصائى على نشر أسماء المشتركين بالمركز أو صور أعضاء اللجان المتفوقين فى نوع معين من النشاط فى التقرير السنوى أو التنويه عن هذه الاسماء فى الحفلات فإن هذا من شأنه أن يزيد من تضحياتهم ويحمس الآخرين لبذل مثل هذه الجهود . كما أن حرص القائمين بالامر على إشراك الأهالى فى الرأى وتعريفهم على مجريات الامور بالمركز الاجتماعى أولا بأول ، كأن تنشر نبذة عن أعماله فى إمساكية شهر رمضان وتوزع على الاهالى ، كما اتبع فى قرية الدوير ، فإن هذا التصرف يجدد ثقة الأهالى بالمركز الاجتماعى .

وأن إشعار الاهالى باهتمامك بهم وذويهم بأن تيسر لتلاميذ المدارس مكاناً للإستذكار بالمركز الاجتماعى أمر عظيم الاهمية فى تكوين روح الولاء له ، مثال ذلك ما حدث فى قرية العجايزة حيث أنشئت صالة للإستذكار الطلبة أضيئت بالكهرباء وخصص لها مثقفون متبرعون لتوجيه الطلبة أثناء الإستذكار، كما نظمت الدروس الخصوصية للمتخلفين منهم دون مقابل .

١٢ — الانتفاع بالقادة المحليين : لوحظ أن الانتفاع بالشخصيات المتصفة بروح الزعامة سواء من أهل القرية أو موظفى الهيئات الاخرى بها مثل المدرسة أو المجلس القروى ممن يكون لهم مكانة مرموقة فى نفوس الاهالى وتأثيراً واضحاً عليهم ، من شأنه أن يوفر كثيراً من الوقت والجهد الذى يبذله الإخصائى فى معرفه

محتويات البيئة وإمكانياتها من مال ورجال أثناء مرحلة التعرف ، إلى جوار أنه يمكن الاستفادة بمجهوداتهم فى تنفيذ المشروعات وإرشاد الأهالى إلى فائدتها . لذا يجدر بالإخصائى اكتشاف مثل هذه الشخصيات للانتفاع بخبراتهم ومعارفهم، بشرط ألا يكون فى احتضان مثل هؤلاء القادة الحقيقيين مساساً بمركز الزعماء الرسميين كعمدة القرية ورؤساء العائلات وذوى الحيثية بها حتى لايقفوا حجرعثرة فى سبيل تنفيذ البرامج بل يكونوا أداة فعالة فى نجاحها .

ثانياً : الوسائل الموضوعية (أو المادية)

تعرضنا فيما سلف ذكره إلى عناصر عملية النهوض بالمجتمع المحلى كما تحدثنا عن مقومات النجاح للقائد أو الإخصائى الإجتماعى ، ونتكلم فيما يلى عن الوسائل المادية الملموسة التى استعملها الكاتب للنهوض بالمجتمع عن طريق المركز الاجتماعى كأحد المنظمات التى تخدم القرية وتعمل على تنسيق الجهود للهيئات المحلية .

(١) وسائل النهوض بالناحية الاقتصادية :

١ — الجمعية التعاونية بالقرية : لما كان تقديم بعض الخدمات العادية الملموسة للفلاح من أحسن الوسائل لكسب ثقته ، ولذا فإن الجمعية التعاونية بالقرية يمكن أن تكون من أنجع الوسائل لبناء صرح القرية الاقتصادى وذلك عن طريق توريد جميع لوازم الزراع من تقاوى وأسمدة ومبيدات حشرية . . . الخ ، مما يكون له أكبر الأثر فى زيادة المحصول . مثال ذلك أن استوردت الجمعية التعاونية بقرية الدوير ٨٠٠ أردب من بذرة القطن الأشمونى الجديد الممتاز فزاد محصول الفدان قنطاراً نتيجة لاستعمال التقاوى المنتقاة ، بمعنى أن دخل القرية زاد بما قيمته ٤٦ ألف جنيه عدا فرق ثمن البذرة بالجمعية التعاونية عن السوق الحرة، وذلك إلى جوار الخصم المسموح به للجمعية . ومثل آخر أن قامت الجمعية المذكورة باستيراد غاز الديزل اللازم لإدارة وابورات الرى بالقرية من الجمعية التعاونية للبترول بخصم مجزى فكانت ضربة قاضية على التجار الجشعين . وعليه تضاعفت ثقة الأهالى بالجمعية التعاونية بعد أن كانوا منصرفين عنها ، كما كانت هذه الخدمات وسيلة لجذب الأهالى للمركز الإجتماعى والمساهمة فيه .

٢ — حقل الإرشاد: إن بعض التقاليد الزراعية البالية تكون سبباً فى انخفاض دخل الفلاح من الزراعة ، مثال ذلك الإسراف فى كمية التقاوى واستعمال التقاوى غير المنتقاة أو الإسراف فى استعمال الأسمدة مما يسبب هياج المحصول وتأخره فى النضج فيلحق به الغرق بسبب انطلاق مياه الحياض كما يحدث للقطن بالصعيد . لذا تتضح أهمية حقول الإرشاد كوسيلة لرفع مستوى إنتاج الفلاح . ولما كان من الصعب الاعتماد على وسائل الدعاية المباشرة كالسينما والمحاضرات لإرشاد الفلاح، لذا فإنه قد جربت الدعاية غير المباشرة بواسطة زراعة حقل الإرشاد لدى عمدة القرية بالقرب من المدرسة ، ورتبت لتلاميذ المدرسة زيارات لهذا الحقل لملاحظة ما يتم به لكى يكونوا وسيلة فى إقناع أهليهم مستقبلا . وبعد جنى المحصول الذى زاد قنطاراً فى الفدان ترك العمدة لينكلم بنفسه إلى الأهالى عن النتائج فى جلساته الخاصة ، وبذلك بدأت الفكرة فى الإنتشار وفقاً لما اتبع بالحقل .

٣ — العيادة البيطرية : إن العناية بالثروة الحيوانية من أهم الوسائل لرفع المستوى الاقتصادى بالقرية . وتتلخص هذه العناية فى علاج الماشية والدواجن وتحصينها ضد الأوبئة التى تقضى عليها فتسبب خسارة فادحة للفلاح ، وكذلك الامراض العادية التى تقلل من إنتاجها فى اللبن أو العمل أو البيض فتؤثر حتما على دخله . وإن وجود العيادة البيطرية يعتبر من أنجح الوسائل لتحقيق هذه الرعاية، ولكن يعترض المصلحين مشكلة عدم إقبال الاهالى عليها اعتماداً على الوصفات البلدية ، وقد أمكن التغلب على هذه المشكلة باتباع الآتى :

(ا) إثارة العناية بالثروة الحيوانية أثناء حدوث الاوبئة .

(ب) عرض بعض الافلام الخاصة بذلك .

(حـ) زيارة الطبيب البيطرى للزراع بالحقول وعدم التقيد بالجلوس بالمركز الاجتماعى أثناء زيارته للعيادة .

(و) عدم التقيد بدفع رسم الكشف مقدماً وتأجيل ذلك حتى يلمس الفلاح فائدة العلاج .

(هـ) إتاحة الفرصة للفلاح لشراء الدواء من الخارج والاكتفاء بإحاطته بثمنها بالمركز الاجتماعى ، وبذلك كانوا يلمسون عملياً التضحيات التى يقدمها المركز

الاجتماعى فى ثمن الادوية .

(و) البدء بتحصين ماشية ودواجن المركز الاجتماعى والنادى الريفى حتى لمس الاهالى فائدة الحقن .

٤ — التليفون : إن مجرد تركيب تليفون بجمعية إصلاح القرية بشبرا قباله وهى القرية المحرومة من وسائل المواصلات ، قد أحدث انتعاشاً تجارياً بها إذ أصبح من السهل على الاهالى الاتصال بالمدينة لمعرفة آخر أنباء الاسعار بعد أن كان التجار ينقضون عليها لشراء محصولاتها بأبخس الاسعار .

٥ — مياه الرى بالقرية : إن اتباع أبسط الوسائل فى أحيان كثيرة يكون أجدى من التمسك بأهداب المشروعات الكبيرة ، مثال ذلك أن قرية العجايزة كانت تعانى الامرين فى سبيل الحصول على مياه الرى لوقوعها فى ذيل الترعة . ولم يجد التمسك بأهداب وزارتى الأشغال والإصلاح الزراعى لعلاج هذه المشكلة بتعديل مجرى الترعة أو دق ماكينات رى ارتوازية ، مما حدا إلى تطهير المساقى الفرعية بعمق كاف على نفقة المركز الاجتماعى تارة والجمعية التعاونية بالقرية تارة أخرى، حتى لمس الأهالى فائدة هذه العملية، فقاموا بأنفسهم فى العام الثالث بعملية التطهير وهم راضين . ويرجع ذلك إلى حسن العلاقة بالأهالى والتدرج بهم فى علاج المشكلة .

٦ — لجنة الاتصال : يمكن بواسطة هذه اللجنة التى يمكن تكوينها من ذوى الرأى بالقرية عمل الترتيبات اللازمة لإبلاغ المشاكل إلى أولى الأمر سواء بالتلغراف أو المقابلات الشخصية . وقد كان لهذه اللجنة بقرية الدوير أطيب الأثر فى تأجيل إطلاق مياه الرى بالحياض سنوياً حتى لا يغرق محصول القطن قبل جنيه ، كما قامت بمجهودات كبيرة فى مقاومة حملة الجراد التى هاجمت القرية فى سنة ما ، بيد أن اهتمام وزارة الزراعة بهذه القرية قد بلغ أن تواجد وكيل فرع الجراد بنفسه على رأس حملة المقاومة التى قضت بالقرية ٢٥ يوماً كاملة رغم وجود إصابات مماثلة بالقرى المجاورة ، وصارت المقاومة بالموتور الذى يعفر ٢٠٠ فدان فى الليلة الواحدة فى حين كانت تتم فى القرى المجاورة بالعفارات اليدوية ، وكان أن زاد محصول القطن عن القرى المجاورة قنطارين للفدان فزاد دخل القرية ٩٢ ألف جنيه .

هذا إلى جوار أن هذه اللجنة خلقت الكثير من القادة المحليين وعودت الأهالى كيف يحسون بالمشكلة بأنفسهم ويعالجونها العلاج الحاسم .

(ب) وسائل النهوض بالناحية الصحية والعمرانية :

١ — تنظيم السوق المحلى بالقرية : تم التركيز على تنظيم السوق المحلى بالدوير كوسيلة للمحافظة على الصحة بواسطة عمل فاترينات لحفظ المأكولات سهلة التلوث وطبالى بأرجل متحركة للأطعمة الأخرى مع تغطيتها بالقماش والاكتفاء بعمل فوط للف اللحوم لدى الجزارين إلى جوار عمل كرسى مرتفع لكل بائع منعاً من جلوسهم على الارض، ولم يكن مجرد تكليف الباعة بعمل هذه الادوات بوسيلة كافية ، فلجأ الباحث إلى استعمال الوسائل الآتية :

(ا) الاتصال سراً بمفتش الصحة ليشدد الرقابة على الباعة من الناحية الصحية.

(ب) تم اختيار موسم القطن لتنفيذ المشروع حيث كان يكثر مرور عربات نقل القطن التى تثير الاتربة على المأكولات بشكل واضح فيجعل الباعة والاهالى يحسون بالمشكلة ، كذلك لوجود حالة الرواج وإمكان جمع مساهمة الاهالى والباعة لتنفيذ المشروع .

(حـ) الاتفاق سراً مع سكرتير المجلس القروى على تأجيل رش منطقة السوق حتى تتجسم مشكلة الاتربة وتلوث الاطعمة بشكل أوضح أمام المستهلكين .

(ء) عرض بعض الأفلام عن تلوث الاغذية المكشوفة وخطورتها ، وبذا أحس الاهالى بالمشكلة وأخذوا يطالبون المركز الإجتماعى بإيجاد الحل ، فتقدمت لجنة الصحة لتنفيذ المشروع وساهم الباعة بثلث التكاليف .

٢ — مدرسة القرية : هى مركز الإشعاع بها ، ويمكن للإخصائى الناجح أن يجعلها مركزاً للدعاية إذ أن كل تلميذ يمثل بيتاً ويمكن أن يكون داعية للمركز الإجتماعى، وإن تقديم الخدمات للتلاميذ يعتبر خدمة لجميع الاهالى . وإليك بعض المشروعات التى نفذت بمدرسة شبرا قبالة الإبتدائية :

(ا) مشروع الحمامات : قامت اللجنة الصحية بالجميه بدق طلمبة ماصة كابسة

(مضخه) بالمدرسه وأنشأت ثلاثة مراحيض بها ٣ دشات (سخن وبارد) لاستحمام الطلبة مرة كل أسبوع ، وقد بلغت تكاليف المشروع ٦٧ جنيها وخمسين مليما . ولقد كان هذا المشروع سبباً فى القضاء على بعض العادات المستهجنة كالتبرز بالشوارع لعدم وجود مراحيض بالمنازل ، والاستحمام بالترع ، وبالتالى كان سبباً فى القضاء على الذباب والأمراض المتوطنة .

(ب) مشروع توحيد الزى : قامت لجنة الثقافة بالجمعية بتوحيد الزى لطلبة مدرسة القرية ، فقدمت بنطلون شورت كاكى وبلوفر قطن للولد ، وجونلة تيل وبلوفر قطن للبنت . وبلغت تكاليف المشروع ١٢٩ جنيها و٦٥٩ مليما بواقع ٤٦٠ مليم للزى الواحد ، حيث بلغ عدد المنتفعين ٢٨١ طالب وطالبة ، وبلغت مساهمتهم فى المشروع ٤٣ جنيها ومائتى مليم . ولقد كان هذا المشروع سبباً فى تعويد التلاميذ على النظافة والعناية بالمظهر .

(حـ) تبادل الزيارات بين هيئة المركز الإجتماعى وهيئة التدريس والتلاميذ فى منازلهم : وقد حدا هذا بالاهالى إلى نظافة بيوتهم باستمرار لكى يظهروا للزوار بالمظهر اللائق .

(د) زيارة حكيمة المركز الإجتماعى للمدرسة أسبوعياً للعناية بالتلاميذ وتحويل المرضى منهم للعلاج بالعيادة مجاناً ، مما كان له أطيب الأثر فى نفوس الأهالى . وقد بلغ عدد زياراتها بقرية العجايزة على سبيل المثال ٥٢ زيارة فى عام ١٩٥١ ، و ٥٢ زيارة فى عام ١٩٥٢ ، و ٢٤ زيارة فى عام ١٩٥٣ .

٣ — مراحيض روكفلر : إن استغلال إمكانيات الوزارات الأخرى من أهم ما يجب على الإخصائى مراعاته توفيراً للجهد والمال . وقد أمكن بهذه الوسيلة تعميم المراحيض القروية بقرى شبرا قباله والعجايزة وأم خنان منوفية ، إذ تم الاتصال بوزارة الصحة فخصصت فرقتين كاملتين بمعداتها لهذا الغرض .

٤ — أثر الوعظ الدينى فى بث الدعاية الصحية : الأسلوب الدينى من أهم الوسائل لإقناع الفلاحين ، لذا ينبغى على الإخصائى مراعاة الربط بين أحاديث الدعاية للمشروع وما جاء بشأنها فى الدين .

٥ — مقاومة الحشرات الآدمية : من أهم الأمور وذلك منعاً لانتشار الأوبئة الفتاكة ، وقد تبين أن من أنجع الوسائل للنهوض بهذه الناحية هى زيارة الأهالى بمنازلهم للفت نظرهم للشكلة بطريق غير مباشر كأن يبدى الإخصائى قلقه أثناء الجلسة من وجود الحشرات ليدفع أصحاب المنازل إلى التحمس لعلاج المشكلة ثم تدبير المبيدات عند بلوغ إحساس الأهالى بالخطر للدرجة القصوى بشرط أن تكون فى متناول الجميع كأن تباع فى باكوات صغيرة وبتضحية فى الثمن ، مع إيجاد العفارات لإعارتها للأهالى دون مقابل لكى يسهل التعفير .

٦ — دار الحضانة : هى أهم مراحل التنشئة الإجتماعية خصوصاً فى القرية إذ ينشأ الطفل فى جو من الحزعبلات كما يكون فى حاجة أكبر للرعاية الطبية، ويعترض هذا المشروع عدم الإقبال من جانب الاهالى ، وفيما يلى بعض الوسائل التى أفادت فى التغلب عليها :

(ا) الدعاية للمشروع : أثيرت المشكلة لدى المترددين على العيادة بأطفالهم المرضى بتوجيههم إلى أن العلاج الحاسم هو إلحاق الاطفال بدار الحضانة لكى يكونوا تحت الرعاية الطبية المستمرة .

(ب) المكان : روعى أن يكون مقر الدار بعيداً عن طرق المواصلات لكى تتوفر لدى الآباء الطمأنينة على أولادهم ، مع توفير الادوات الكافية للعيادة وحماية الاطفال من الحر والبرد .

(ح) بدىء بإلحاق أولاد المتنورين بالقرية وخفضت الإشتراكات لذوى الدخول المحدودة وأعفى غير القادرين ، مع العناية باختيار المربية الملائمة وتقديم وجبة غذاء كافية للأطفال .

(ى) وسائل الترغيب : مثل تقديم الجوائز للأطفال المتفوقين ، وغرس العادات الطيبة فى الطفل لكى يتشجع الآخرين على إلحاق أولادهم بالدار ، ودعوة الاهالى إلى حفلات يقيمها الأطفال ، وتخصيص حيز لأطفال الحضانة فى الحفلات العامة بالقرية .

(ح) وسائل النهوض بالناحية الإنتاجية :

١ — الاهتمام بتنفيذ المشروعات التى يرغب فيها الأهالى: من أحسن الوسائل لكسب ثقة الأهالى أن يهتم الإخصائى بادىء ذى بدء بتنفيذ المشروعات التى يهتمون بها كما حدث أن وجهت العناية للخدمات الزراعية بقرية الدوير وذلك حال إنشاء المركز الإجتماعى حتى التف الاهالى به ، وقد ظهر إهتمامهم كذلك بإنشاء جمعية لتحفيظ القرآن، فأجيبوا لهذه الرغبة ، فكان أن تعاونوا تعاوناً صادقاً للنهوض بالمشروع حيث أنه من صميم تفكيرهم .

وفيما يلى أهم الوسائل التى كانت سبباً فى نجاح ذلك المشروع :

(ا) عدم التقيد بالتبرعات النقدية ، بل فتح باب التبرع العينى والجهدى ، فكان لكل شخص بالقرية مجال للمساهمة فى المشروع .

(ب)خلق روح التنافس بين العائلات للمساهمة فى هذا المشروع فكان أن تكلفت كل عائلة بعملية معينة فى إقامة المبنى .

(ح) تبادل المساهمة بين المسلمين والاقباط فى هذا المشروع المماثل له لدى الاقباط بالقرية وهو بناء الكنيسة مما زاد الروابط بينهم .

٢ — زيارة الخبراء الاجانب وذوى الحيثية كوسيلة للنهوض بالقرية : إن تنظيم مثل هذه الزيارات بقصد أو بالصدفة من شأنه أن يخلق الفرصه لحفز الاهالى إلى إظهار القرية بالمظهر اللائق وخلق روح التعاون بينهم وتناسى الاحقاد إلى جوار ما تحققه من مكاسب للقرية ، كما حدث حينما زار وزير مالية سابق قرية الدوير وكان أحد أبنائها ، فتوحدت صفوف الاهالى رغم ما كان بين العائلات من حزازات قديمة ، وتضافرت الجهود لإصلاح الشوارع وبياض المنازل ، وبدىء فى تنفيذ مشروعات المركز الإجتماعى . ونتيجه لسرور السيد/ الوزير بهذا التعاون قام بتنفيذ المشروعات الآتية لصالح القرية : إنشاء مدرسة إبتدائية — إضاءة القرية بالكهرباء — إنشاء مجموعة صحية — تكبير عملية المياه الموجودة بالقرية .

ومثل آخر حينما زار مدير الهيئة الصحية العالمية قرى تجارب إصلاح القرية

بشبرا قباله والعجايزة وأم خنان ، فوافق على الاتفاقية التى جاء من أجلها لمد دور الأم والطفل بالاقليم المصرى بإعانه سنوية قدرها مائتى ألف دولار .

٣ — تحويل نزعة الشر إلى نزعة الخير : يستطيع الإخصائى الناجح أن يحول مجريات الامور فى القرية والخلافات العائلية من التنافر العائلى المؤدى للشر إلى نزعة للخير ، مثال ذلك أن قام خلاف كبير بين عائلتين بشبرا قباله كاد أن يودى بهما إلى الهاوية ، فتم الإلتجاء إلى شغل الرأى العام بفكرة بناء المسجد الوحيد المتهدم بالقرية ، وسرعان ما تحول التنافس العائلى إلى تنافس من نوع آخر بأن انهمكت إحدى العائلتين فى بناء المسجد ، ففكرت العائلة الأخرى فى بناء زاوية لكى تنافس العائلة السابقة ، وبعد ذلك تم التأثير من بعيد على شلة الزاوية فانضمت إلى مشروع المسجد . وقد بلغت جملة التبرعات التى جمعت من أهل القرية لبناء المسجد بعد أن تم التوفيق بينهم ٦٥٥ جنيها ومائتى مليم .

٤ — النادى الريفى : من أهم الوسائل للنهوض بالناحية الإجتماعية بالقرية وذلك بمزاولة أنواع النشاط الآتية :

(ا) الألعاب الرياضية : وهى تخلق روح التعاون بين الأهالى وبذا يتم التغلب على الاحقاد القديمة .

(ب) شغل أوقات الفراغ : وذلك بواسطة الإطلاع بالمكتبة ونشر الهوايات وبذا يمكن إبعاد الشباب عن الرذيلة .

(حـ) مجلة الحائط : وهى مجال للبارياات الثقافية ووسيلة لزيادة الإقبال على المكتبة وخلق روح الإطلاع والابتكار فى الكتابة والصحافة ومجال لإبراز الآراء الحرة للنهوض بالقرية .

(ى) المعسكرات والوحدات :

قرية العجايزة : نظمت لجنة الثقافة بالجمعية رحلة فى عام ١٩٤٤ لزيارة الاهرام وحديقة الحيوان والمتحف الزراعى ، وأخرى فى عام ١٩٤٩ لزيارة المعرض الزراعى الصناعى .

قرية أم خنان : نظمت لجنة الثقافه فى عام ١٩٥٤ رحلتين بالدراجات ، الاولى

إلى القاهرة والجيزة والثانية إلى القناطر الخيرية وبعض المراكز الإجتماعية .

(هـ) الحفلات : وسيلة لتضافر الجهود بين الاهالى ، إلى جوار إدخال السرور على أهل القرية ونسيان الحزازات فى غمرة الفرح والتعاون لتحقيق النجاح المنشود للحفلة .

٥ — السينما والمسرح الشعبى والاذاعة : سبق التنويه إلى أهميتها كوسائل للتثقيف الاجتماعى .

خاتمة

يستطيع القارىء أن يتبين مما سبق عرضه مدى أهمية العمل فى ميدان الخدمة الريفيه ، وحاجته إلى خبرة فنية ودرايه وبصيرة فى معاملة الناس. كما يتبين أن نجاح العاملين فى الريف يتوقف إلى حد كبير على صفاتهم وسلوكهم مع الاهالى ، وأيضاً على كيفية البدء وطريقة معالجة الموضوعات والمشاكل المحلية ، فإما أن يبدأوا الاصلاح بداية صحيحة من الزاوية التى تهم أهل القرية وتناسب إحتياجاتهم مع استعمال وسائل الارشاد التى تناسب ثقافتهم ومداركهم وبذا يكسبون ثقتهم فيلتفون حولهم ويستجيبون لتوجيهاتهم ، وإما أن تكون البداية غير موفقة والطريقة التى يتبعونها لا تتناسب مع الظروف المحلية فينصرف الناس من حولهم وبذا يفشلون فى أداء مهمتهم .

ولا تقل الوسائل الروحية التى تناولناها فى هذه الدراسة أهمية عن الوسائل المادية . فيجب أن يتحلى القائمون بالاصلاح الاجتماعى فى المناطق الريفية بالصفات المذكورة ، وأن يكون سلوكهم حسب العرف والتقاليد المتبعة حتى يستطيعوا أن يندمجوا فى البيئة وينهضوا بها رويداً رويداً بعيدين عن الطفرة وبذلك يتعاون الاهالى معهم تعاوناً كاملا وينجحوا فى تحقيق رسالة الاصلاح المرجوة .

لذا كان لزاماً على المسئولين أن يتوخوا الدقة فى اختيار هؤلاء الذين سيبعثون للعمل فى الريف من أجل النهوض به وأن يعدوهم الاعداد الكافى من الناحية العلمية والعملية لأداء رسالتهم